الفصـــــــل الثـــــالث

# الاســـكـــــندر الأكبـــــــــر
# في الشـــــــــــرق

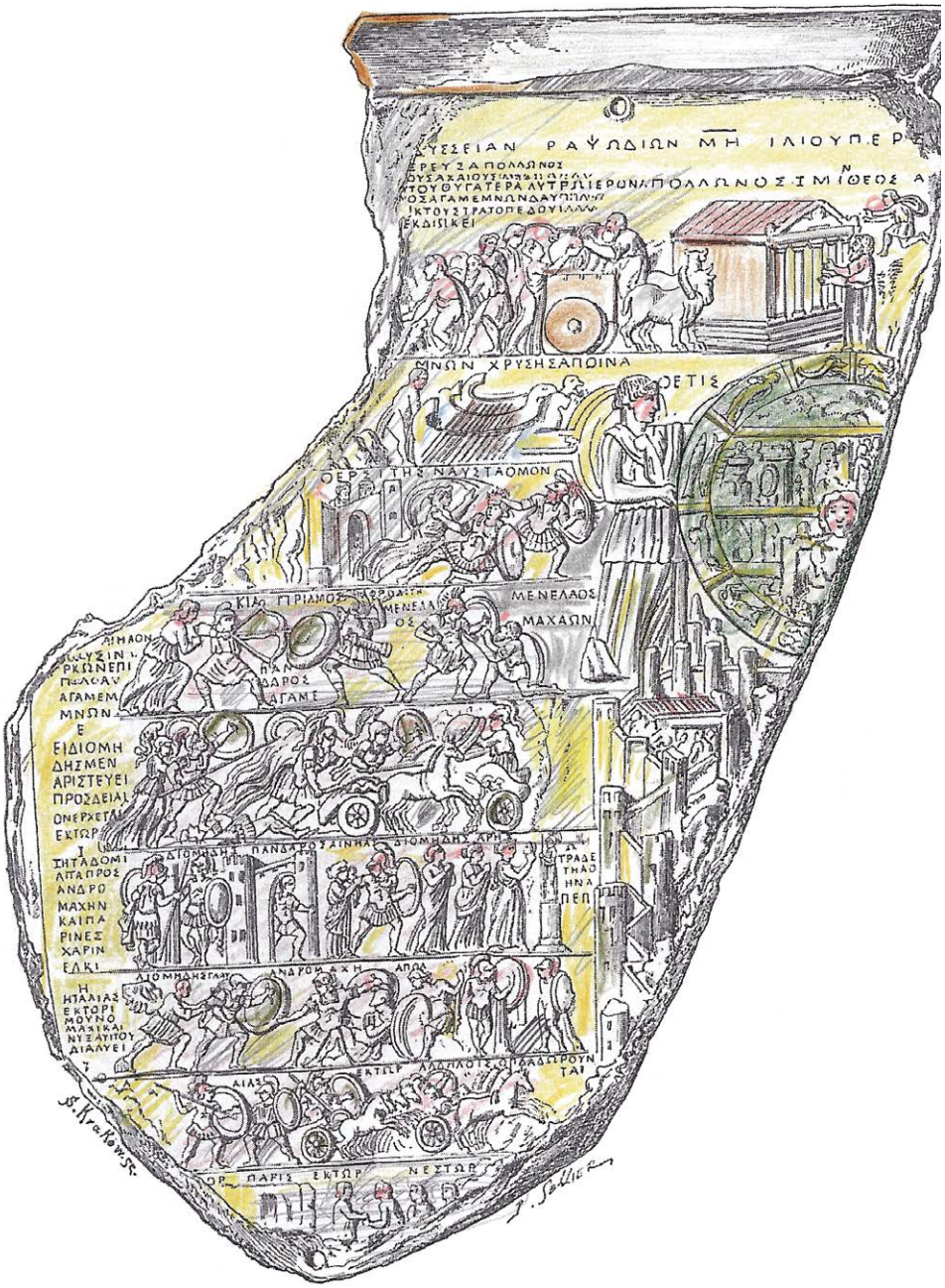


٦١. «حصار طروادة» (تلوين ق. س. ستايكوس). من إصدار Victor Duruy، «Histoire des Grecs...»، م. ٢، باريس، Libraire Hachette، ١٨٨٨ (م. أ).

## العـــــبور إلى آسيا الصغرى

تبـدأ حملـة الإسـكندر الأكـبر (بيـلا ٣٥٦- بابـل ٣٢٣ ق. م.) عـلى الإمبراطوريـة الفارسـية الشاسـعة ضـد ملـك الملـوك داريـوس الثالـث نفسـه عـام ٣٣٤ ق. م. برئاسـة بارمنيـون الـذي تعهـد بنقـل الجيـش بأكملـه مـن سيسـتوس إلى أبيـدوس بواسـطة ١٦٠ ترايـرم (سـفينة ثلاثيـة المجاديـف).[١] لقـد أبحـر الإسـكندر بنفسـه مـن داخـل سـفينة القيـادة مجتـازاً شـاطئ آسـيا الصغـرى لمضيـق الدردنيـل وفي منتصـف الطريـق أثنـاء الإبحـار، ضحـى لبوسـيدون بينـما قـدم تضحيـةً تكريمـاً للربـة أثينـا عنـد نقطـة نزولـه إلى آسـيا. وعنـد وصولـه إلى إليـو تـوّج قـبر أخيـل مغتبطـاً إيـاه عـلى حظـه في أن يكـون لـه صديـق مخلـص عـلى قيـد الحيـاة مثـل باتروكلـوس. في وقـتٍ لاحـقٍ وبعـد أن تفقـد الجيـش الـذي عسـكر في اريسـفي، تقـدم إلى بيركـوتي ثـم إلى طـروادة متوجهـاً نحـو نهـر الغرانيكـوس.[٢]

بـدأ الإسـكندر عـلى الفـور تقدمـه في اليـوم التـالي دون تأخـير بهـدف السـيطرة عـلى المـدن السـاحلية اليونانيـة التـي تقـع عـلى مضيـق الدردنيـل وبحـر مرمـرة. في هـذه الأثنـاء أبلغتـه قـوات الطليعـة أن المرازبـة وقـادة الفـرس قـد قـرروا إيقـاف تقدمـه إلى نهـر الغرانيكـوس حيـث كانـوا مصطفـين اسـتعداداً للمعركـة.

## معـــــركة نـــــهر الغرانـــيكوس

يعـد الغرانيكـوس نهـر جبـلي صغـير، وبينـما اصطـف الفـرس في موقـع متميـز، قـرر الإسـكندر القتـال عـلى أبـواب آسـيا كـما كتـب بلوتارخـوس، حيـث كان مـن شـأن ذلـك أن يقـوي ثقـة جنـوده بأنفسـهم. تحولـت معركـة الغرانيكـوس إلى قتـال بالخيـل بـين خصمـين، وبوجـود الإسـكندر عـلى مقدمـة سـلاح الفرسـان كانـت النتيجـة أن فـر سـلاح الفرسـان الفـارسي هاربـاً. بعـد النـصر زار الإسـكندر جنـوده الجرحـى واحـداً تلـو الآخـر ثـم قـام بدفـن قتـلى الفـرس

٦٢. Girard Audran، « عبور نهر الغرانيكوس» (التفاصيل)، ١٦٧٢، نقش، ٧٢×١٣٩ سم. من إصدار نيكوس خادزينيكولاو (مراجعة)، «الإسكندر الأكبر في الفن الأوروبي»، سالونيك ١٩٩٧، ص. ٢٩٧.

والمرتزقـة اليونانيـين. وصلـت الأخبـار إلى أثينـا بـل وإلى مـدن آسـيا الصغـرى الأخـرى التـي سـارعت بفتـح بواباتهـا أمـام القائـد المقـدوني دون قتـال، بينـما لم يسـتطع أرسـيتيس مرزبـان فريجيـا أن يتحمـل هزيمـة الفـرس فقـام بالانتحـار بمجـرد عودتـه إلى ولايتـه.[٣]

## تحرير مدن آسيا الصغرى اليونانية

تقدم الإسكندر بعد ذلك إلى ساردیس عاصمة ليديا والتي تم تسليمها له هي الأخرى بدون قتال. وبفضل تبنيه للسياسة المناسبة، كان يتعامل مع سكان هذه المدن بطريقة تجعلهم يعترفون به كمحرر وليس كطاغية آخر. في الواقع، فإن اختياره لإنشاء معبد زيوس في ساردیس يعزز انتشار الديانة اليونانية في الشرق ويهيئ الإطار لدمج الشعوب الأصلية مع العنصر اليوناني.[٤]

٦٣. أطلال معبد أبوللو في ديديما بميليتوس. من إصدار George Wheler، «A Journey into Greece...»، لندن
William Cademan، Robert Kettlewell، Awnsham Churchill،
١٦٨٢ (م. أ).

وبكون ساردیس قاعدة له يقوم بالسيطرة على إفسوس مطيحاً بنظام حكم القلة الذي فرضه الفرس ومستعيداً لنظام الحكم الديمقراطي. أثناء إقامته هناك أراد معاقبة المسؤولين عن نهب معبد أرتميس، بينما في الوقت ذاته بدأ مبعوثون في الوصول من تراقيا ومن مدن يونانية أخرى مثل ماغنيسيا. ومن هناك تقدم نحو ميليتوس التي أحكم سيطرته عليها بعد شهور عديدة من الحصار والمعارك البرية والبحرية، حيث كان الفرس يحاولون بأسطولهم الضخم سحق الأسطول اليوناني الذي كان ينقصه مايقرب من ٢٤٠ تريرم. منح الإسكندر الحرية للسكان فور دخوله ميليتوس وقرر حل أسطوله بسبب الصعوبات الاقتصادية.[٥]

## هاليكارناسوس بإقليم كاريا

بعد ميليتوس كانت هاليكارناسوس هي الحصن التالي الذي يجب أن ينهار، إذ تُعد مركزاً حضارياً بل وقاعدة بحرية للفرس في بحر إيجة، كان يدافع عنها ممنون الرودوسي. بعد

حصار وعمليات حربية مدروسة، تم اجبار المحاصَرين على مغادرة الأسوار والانسحاب إلى أعلى المدينة ثم تسليمها وإيجاد مأوى لهم في جزيرة كوس. وقد وعدته باقي مدن كاريا بالتعاون دون مقابل.[٦]

## في ليقيا وبامفيليا

على الرغم من أن شتاء عام ٣٣٣/٣٣٤ ق. م. كان في بدايته إلا أن الإسكندر ظل نشطاً فقاد فرقة عسكرية شارعاً في غزو ليقيا وبامفيليا، وكان هدفه الأساسي هو الاستيلاء على الشواطئ حتى فينيقيا. بعد السيطرة على إيبارنا وتيرميسوس، استسلمت المدن واحدة تلو الأخرى إلى الإسكندر. عند وصوله إلى مدينتي سيدي وبيرجى صعد إلى فريجيا واحتل غورديوم، حيث فك عقد عربة الملك الفريجي القديم غورديوس، العربة التي تم تقديمها كتحية لزيوس: وفقاً للأسطورة، فإن من يفك العقدة الغوردية سيكون سيداً على كل آسيا.[٧]

## النزول إلى قليقيا

بينما كان الإسكندر يقضي فصل الشتاء في غورديوم، تم تعزيزه في ربيع عام ٣٣٣ ق. م. من قِبل المقدونيين الذين عادوا مؤخراً إلى أرض الوطن ليروا أسرهم مرة أخرى، ومع إعادة تشكيل القوات توجه إلى كابادوكيا وأنقرة. بمجرد أن علم الفرس بنزول الإسكندر فروا هاربين، وبهذا استسلمت طرسوس له، بينما قام بعد ذلك بالسيطرة على صولي، وماغارسوس، وأخيراً مدينة ماللوس بقليقيا.[٨]

## معركة إسوس

بعد وفاة ممنون الرودوسي، حاول داريوس بشتى السبل أن يجد بديلاً لمنصب جنرالة. لكنه قرر في النهاية أن يقود بنفسه جيشه الذي بدأ يتجمع في بابل.

لقد وقعت المعركة في السهل الساحلي الضيق جنوب إيسوس الذي من ناحية كان

لـه مزايـا اسـتراتيجية، لكنـه شـكل مخاطـر أيضـاً، وذلـك مـع إمكانيـة قطـع الاتصـال في حالـة تقـدم الفـرس حتـى جنـوب السـهل. اسـتطاع جيـش المقدونيـين أن يضـع جـزءاً منـه فقـط عـلى خـط الجبهـة، ووفقـاً لمصـادر قديمـة، فـإنّ الإسـكندر قـدّر وقـوع معركـة قتـال بالخيـول وبنـاءاً عـلى هـذا التقييـم قـام بوضـع خططـه.[٩]

وقعـت المعركـة الكـبرى يـوم ١١ نوفمـبر، عـام ٣٣٣ ق. م. وتطـورت بالضبـط وفقـاً لمخططـات الإسـكندر. فقـام بشـنّ هجـوم مفاجـئ اسـتطاع مـن خلالـه القضـاء عـلى الجنـاح الأيـسر للفـرس، لكـن في الوسـط وعـلى الجانـب الأيـسر مـن الفصيـل وقعـت اشـتباكات عنيفـة كان مـن بينهـا الاشـتباك مـع مرتزقـة داريـوس اليونانيـين. لكـن مـن اللحظـة التـي أُجـبر فيهـا الـكارداك (المرتزقـة) المدججـين بالسـلاح عـلى الفـرار، فـإن مسـار المعركـة في الغالـب كان قـد تـم

٦٤. «الإسكندر ضد داريوس في معركة إسوس». إعادة نقش فسيفساء الإسكندر الأكبر من قِبل Casa del Fauno بمدينة بومبي.

تحديـده: عندمـا رأى داريـوس الجنـاح الأيـسر مقطوعـاً عـن بقيـة الفصيـل، فـر مـع الهاربـين.

تخـلى ملـك الملـوك عـن عائلتـه، ووالدتـه، وزوجتـه، وابنـه، وابنتيـه في الميـدان متوجهـاً نحـو ثابسـاكوس ونهـر الفـرات. لم ينجـح الإسـكندر في القبـض عـلى داريـوس، وأرسـل بارمنيـون إلى دمشـق منصبـاً إيـاه سـيداً عـلى الخزانـة الفارسـية.

## نحـــــــو فينيقيا ومصـــــــر

بعـد انتصـاره في إسـوس، شرع الإسـكندر في حصـار القواعـد البحريـة التـي كان يسـتخدمها الفـرس، بمـا في ذلـك ميناء صـور الأقـوى في البحـر المتوسـط.[١٠] وبكـون مدينـة ماراثـوس مركـزاً لـه تقـدم نحـو أراضي فينيقيـا وبعـد أن صـار سـيداً عـلى جبيـل وصيـدا، سـار نحـو صـور. لقـد تـم بنـاء المدينـة عـلى جزيـرة، يفصلهـا ممـر مـائي ضيـق عـن اليابسـة ومحميـة بأسـوار منيعـة. كان لأهـل صـور أسـطولاً أخـراً ملقيـاً بمراسـيه في موانـئ قريبـة، في حـين كان الإسـكندر قـد قـام بحـل أسـطوله. بـدأت العمليـات عـام ٣٣٢ ق. م. وقـرر الإسـكندر وصـل السـاحل بصـور عـن طريـق جـسر طينـي، مـوكلاً بهـذا العمـل إلى كبـير المهندسـين ديادي̈س الثيسّـالي.

٦٥. رسم تمثيلي لوعاء فضي فينيقي. من إصدار Georges Perrot-Charles Chipiez، «Histoire de l'art dans antiquité...»، م. ٣، باريس، Librairie Hachette، ١٨٨٥ (م. أ).

تحـول حصـار صـور إلى معركـة جبـارة في كل مـن الـبر والبحـر، حيـث تـم اسـتخدام المقاليـع مـن كلا الجانبـين وتـم بنـاء أبـراج متنقلـة متعـددة الطوابـق لأغـراض دفاعيـة وهجوميـة. في غضـون ذلـك بـدأ تنظيـم أسـطول جديـد تحـت سـيطرة الإسـكندر، بـه العديـد مـن السـفن ثلاثيـة المجاديـف التـي قدمهـا لـه أهـل صيـدا بـل وأهـل رودوس، وفيـما بعـد ملـوك قـبرص كذلـك. تـم إحـكام السـيطرة عـلى صـور بهجـوم منسـق مـن الـبر والبحـر، وعندمـا أدرك أهـل صـور أن المقدونيـين قـد احتلـوا جـزءاً مـن الجـدار، تراجعـوا إلى وسـط المدينـة بنيـة الهجـوم المضـاد، ولكـن دون جـدوى. لقـد غـزا الإسـكندر صـور ولم يفـوّت تقديـم تضحيـة مهيبـة إلى معبـد هرقـل، وكـما هـو معـروف كذلـك فـكان هرقـل يعتـبر الجـد الأسـطوري للسـلالة المقدونيـة.

## نحـــــو مصـــــــــــــر

أصبح الإسكندر سيداً على صور في أغسطس من عام ٣٣٢ ق. م. وبدأ استعداداته للتحرك نحو الجنوب. استولى على غزة وفلسطين، وكذلك على مدن سورية أخرى ووصل إلى مصر مجتازاً صحراء سيناء.[١١] فقام مازاكيس مرزبان مصر الذي ولاه داريوس بالترحيب بالإسكندر بشكل وديّ دون الشروع في أي مقاومة. وصل إلى منف عاصمة مصر القديمة، وهو مبحر من خلال الذراع الشرقية للنيل: وهناك تم تنظيم استقبال حاشد للإسكندر من قبل السكان بوصفه محرراً، بينما ضحى الإسكندر للآلهة المصرية، وإلى الثور المقدس حابي.

## في معبد وحي آمـــــــــون

انطلق الإسكندر وفي صحبته عدد قليل من المرافقين إلى أعماق الصحراء الغربية للقاء كهنوت هيكل وحي آمون في واحة سيوة.[١٢] كان هذا الهيكل معروفاً بالنسبة لليونانيين، ووفقاً للموروث الأسطوري فقد زاره هرقل بل وبيرسيوس أيضاً وهو يعدّ نظيراً لهيكل دلفي ودودونا. وحريّ بنا ألا ننسى أن بندار قد ألّف قصيدة لآمون، بينما جعل الأثينيون

٦٦. تترادراخما الملك ليسماخوس التراقيّ وتصوير الإسكندر على أنه زيوس آمون، ٢٨٨ – ٢٨١ ق. م. أمفيبوليس، عملة فضية.

٦٧. «زيوس آمون». من إصدار Victor Duruy، «Histoire des Grecs...»، م. ٣، باريس، Librairie Hachette ، ١٨٨٧ – ١٨٨٩ (م. أ).

٦٨. «معركة جوجميلا». نقش نحاسيّ من الإصدار الفرنسي لـــ Claude Favre de Vaugelan،
«De la vie et des actions d'Alexandre le Grand» (ترجمة Quintus Curtius Rufus)، أمستردام ١٦٩٦ (م. أ).

عبادتـه بشـكل رسـميّ قبـل عـام ٣٧٠ ق. م. وفي عـام ٣٣٣ ق. م. أسسـوا معبـداً تكريمـاً لـه.

كانـت عمليـة التنبـؤ هنـاك مختلفـة تمامـاً عـمّا كان في معابـد الوحـي اليونانيـة وكانـت تشـكل طقوسـاً لم يشـارك فيهـا الكهنـة فقـط بـل الفتيـات والنسـاء الـلاتي كـن يترنمـن بأنشـودة الشـكر في مـدح الإلـه. يـروي بلوتارخـوس أنّ نبـيّ آمـون رحـب بالإسـكندر بتعبـير غـير مسـبوق قائـلاً « لتحـل عليـك بركـة الإلـه كـما حلـت عليـك مـن أبيـك»، وهـي تحيـة تليـق بفرعـون، كـما كان حـال الإسـكندر فعليـاً. منـذ ذلـك الحـين صـور الفنانـون الإسـكندر مرتديـاً لقـرون آمـون (وهـي تـاج عـلى هيئـة رأس كبـش ذي قرنـين).

## تأسـيس الإسـكندرية

لقـد طـرأت للإسـكندر فكـرة تأسـيس مدينـة سـاحلية عـلى دلتـا النيـل حتـى تتمكـن المـدن التـي عـلى ضفـاف النيـل مـن الوصـول الآمـن للبحـر مثـل مدينـة سـين (أسـوان حاليـاً)، ولـكي يجعـل منهـا الميناء الأقـوى والأكـثر أمنـاً في البحـر المتوسـط بـدلاً مـن صـور.[١٣] اعتقـدَ أن هـذا الميناء سيشـكل المحـور البحـري الأسـاسي للطـرق بـين موانـئ المـدن الواقعـة في الجـزر اليونانيـة والمـدن السـاحلية وسـيصبح بهـذه الطريقـة مركـزاً للحضـارة اليونانيـة في معظـم أنحـاء البحـر المتوسـط.

لقـد اختـار موقـع المدينـة الجديـدة التـي سـماها باسـمه والتـي كانـت الأولى مـن بـين ٧٠ مدينـة تقريبـاً تأسسـت تحـت نفـس الاسـم، مفضـلاً المنطقـة السـاحلية بـين بحـيرة مريـوط وجزيـرة فـاروس (المنـارة)، آخـذاً في اعتبـاره بالطبـع حقيقـة أنّـه تـم ذكـر هـذه الجزيـرة الصغـيرة مـن قبـل هومـيروس.

كـما حـدد بنفسـه التخطيـط الحـضري للمدينـة، وحدودهـا، ومبانيهـا العامـة، وأسـوارها وأماكنهـا المقدسـة بالتعـاون مـع المهنـدس المعـماري دينوقراطيـس، كـما سـنرى بالتفصيـل فيـما بعـد.[١٤]

☜

٦٩. تخطيط للإسكندرية من إصدار Victor Duruy،
«Histoire des Grecs»، م. ٣، باريس، Librairie Hachette، ١٨٨٧ – ١٨٨٩ (م. أ).

E ANTIQUE

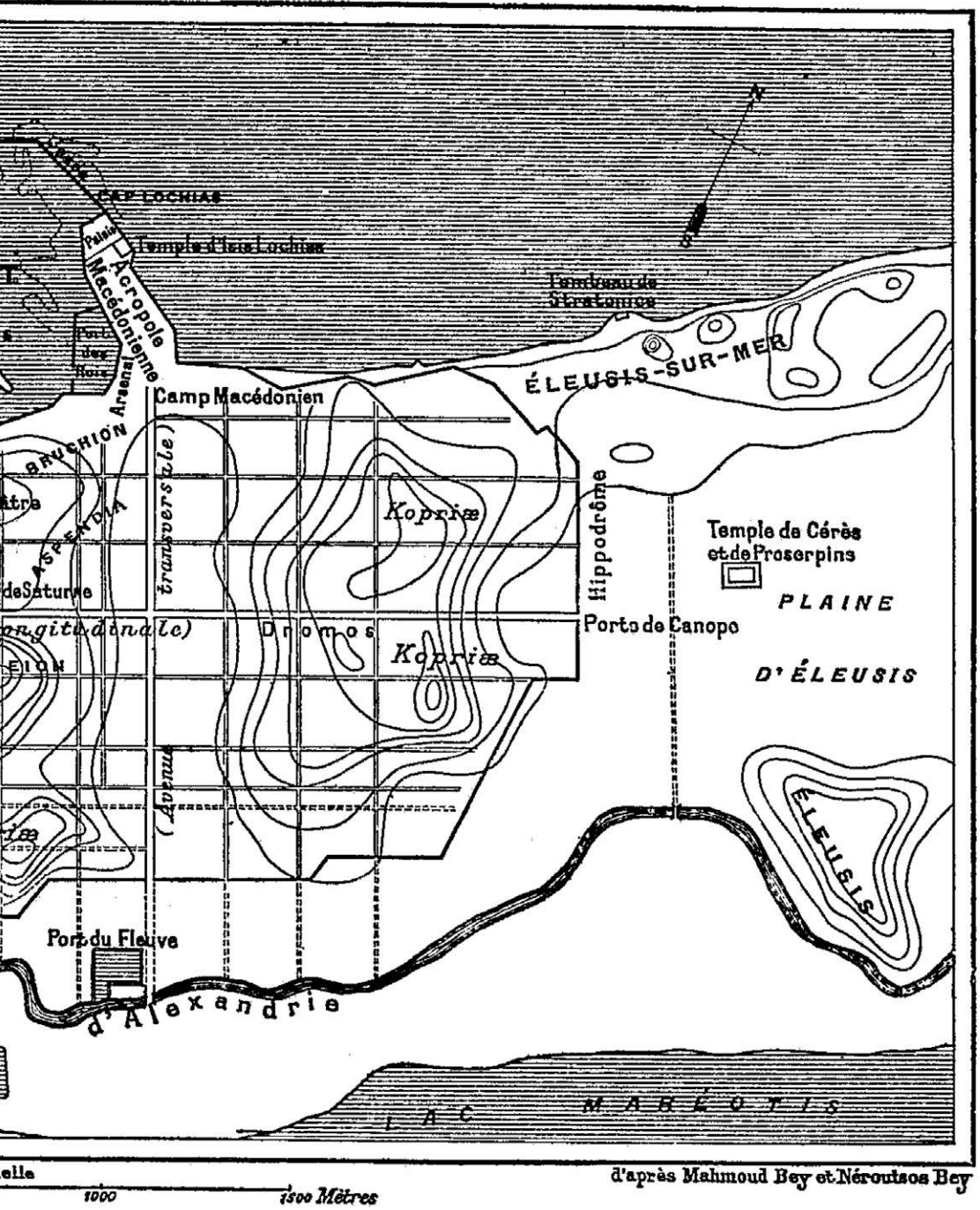


EXANDRIE.

Histoire des Grecs T.III
ALEXANDRI
LE PHARE
Kynosema
Catacombes
Temple d'Isis Pharia
ILE DE PHAROS
Poseidion
GRAND PO
Antirrhodos
Timonion
Poseidion
Passe du Poseidion
PORT EUNOSTOS
Heptastade
Kibotos
Emporion
Bendidion
Agora
Dromos
Sérapéion
Mission
Avenue
Nécropole de l'Ouest
Grand Sérapéion
(Port fortifié)
Canal
L.Thuillier delt.
Ech
0
500
PLAN D'AL

## الإطـــــاحة بالإمبراطـــــــــورية الفـــــارسية ٣٣١- ٣٢٧ ق. م.

بعـد انشـغاله بشـكل منهجـي بالمنظومـة الإداريـة المصريـة، وأيضـاً بهيكلهـا السـياسيّ والعسـكريّ والاقتصـاديّ، أوكل الحكـم إلى اثنـين مـن «الـولاة» المصريـين وهـما ذولواسـبيس وبيتيسـيس، وفي ذلـك الحـين اختـار قـادة المنطقتـين الحدوديتـين، إلا أنـه أسـند القيـادة العسـكرية للمقدونيـين.[١٥]

٧٠. صورة منحوتة لنقش بارز (القرن الثاني ق. م. – القرن الثاني م.) من اصدار Palazzo Chigi في روما. تصور (على شكل قرص) معركة جوجميلا والأشكال المجازية لأوروبا وآسيا.

أثناء انشغال الإسكندر بفينيقيا ومصر، وجد داريوس فرصة لإعادة بناء قواته. فقد أسرع إليه مرازبة آسيا من جميع أنحاء الإمبراطورية بجيوشهم، وبنى داريوس جيشاً جراراً بهدف وقف تقدم الإسكندر.

لم يضيّع الإسكندر وقتاً، فعبر بجميع قواته نهر الفرات، وفي أثناء مسيره نحو نهر دجلة استقبل وفداً من عشرة من الفرس بارزين يعرضون عليه مقترحات مغرية لعمل هدنة في مقابل مبلغ كبير من المال وزواج الإسكندر من ابنة داريوس.[١٦] كان رد الإسكندر سلبياً مرة أخرى، كما كان الحال في اقتراحي داريوس المرسلين سابقاً.

بعد أن حدد الممر المناسب لكي يعبر بسلام إلى الضفة الأخرى من نهر دجلة، تقدم الإسكندر نحو آشور بعد يوم من الراحة لمقابلة داريوس الذي كان قد خيم في جوجميلا. على الرغم من أن جيش داريوس كان يفوق إلى حد بعيد الجيش المقدوني، كانت حيلة الإسكندر الذكية هي تجنب الاشتباك المباشر، وإحداث اختراق في الصفوف المعارضة، وضرب وسط الجبهة الفارسية والوصول إلى موقع داريوس الذي كان يدعمه فرقة الخالدين. أثناء المعركة الشرسة، قام الإسكندر بإبطال مفعول عربات الفرس المنجلية بدهاء وشن هجوماً شرساً على داريوس.

وفي خضمّ ضجيج الاشتباك حيث كان الإسكندر رئيساً لسلاح الفرسان الرفاق الذي كان مدعوماً برماة الأسهم والرماح، توجه نحو داريوس، الذي غادر ساحة المعركة في حالة من الارتباك والرعب، برفقة من حرسه وقد ادّى ذلك إلى نشر الذعر بين بقية الفرس الذين استمروا في القتال دون علمهم بالوضع. لقد ثبتت صحة خطة الإسكندر في كونها عاملاً حفّازاً في الصراع الحربي، لكن كان من الممكن تنفيذها بنجاح بفضل قدرة الجيش المقدوني الجيد التدريب.

☜

٧١. بابل. نقش نحاسي من إصدار Quintus Curtius Rufus، «Alexander Magnus»، أوترخت ١٦٩٣ (لوحة رقم. ٢٤) (م. أ).

٧٢. بابل وهي مزدهرة على ضفتي نهر الفرات. نقش نحاسي من إصدار Quintus Curtius Rufus، «Alexander Magnus»، أوترخت ١٦٩٣ (لوحة رقم. ٢٥) (م. أ).

BABYLON.

HORTI PENSILES BABYLONII

## نحـــــو بابـــــــــــــل

بعـد أن تـمّ إعلانـه ملـكاً عـلى آسـيا وخليفـة للسـلالة الأخمينيـة[١٧] مـن قبـل المجلـس العسـكريّ، وبعـد الاحتفـالات المعهـودة، تقـدم الإسـكندر نحـو أربيـلا (أربيـل حاليـاً) ومنهـا إلى بابـل. أمـر جيشـه بالقتـال لكـن مازاتـوس مرزبـان بابـل فـرّ هاربـاً. وهكـذا استسـلمت لـه المدينـة عـن بكـرة أبيهـا، وفي مقدمتهـا الكهنـة والقـادة. لقـد أبقـى القائـد المقـدوني مازاتـوس في منصـب المرزبـان، لكنـه عـين رفيقـه ابوللـودوروس الـذي ينحـدر أصلـه مـن مدينـة أمفيبوليـس قائـداً عسـكرياً، وأصـدر أمـراً بإعـادة بنـاء المقدسـات التـي كان قـد هدمهـا كسيركسـيس وقـدم تضحيـة للإلـه مـردوخ.

## نحـــــو ســـــــــــــــوسا

في نهايـة نفـس العـام ٣٣١ ق.م. واصـل الإسـكندر المسـير نحـو الـشرق في الطريـق المؤديـة إلى سوسـا، العاصمـة القديمـة لمملكـة عيـلام.[١٨] كان هدفـه هـو الاسـتيلاء عـلى كنـوز الفـرس التـي كانـوا يحتفظـون بهـا هنـاك، واثنـاء مسـيرته أيضـا تـمّ إبلاغـه عـن طريـق مبعوثـه فيلوكسـينوس أن الكنـوز لم تكـن في حالـة ممتـازة فقـط، بـل وان المرزبـان أبوليتيـس سـوف يسـلمه المدينـة دون قتـال. اهتـم الإسـكندر في هـذه المدينـة بالإبقـاء عـلى عائلـة داريـوس موفـراً لهـم سـبل الرفاهيـة والـثراء التـي تليـق بعائلـة ملكيـة وبـترف داريـوس أيضـاً.

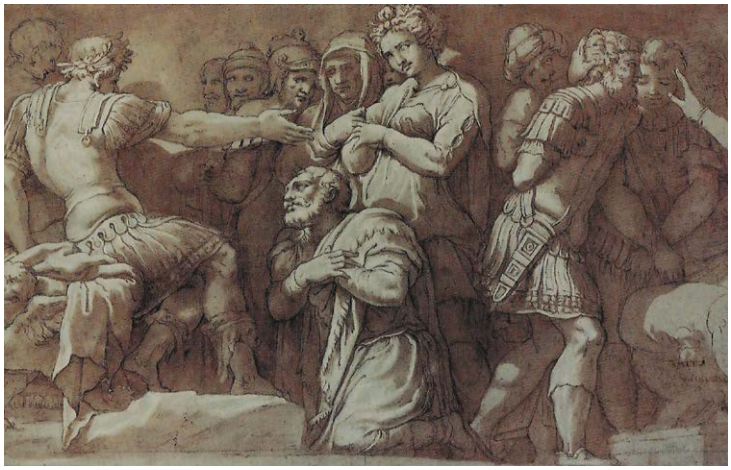

٧٣. Pellegrino Tibaldi، «عائلة داريوس أمام الإسكندر»، القرن السادس عشر، الشكل، ٢٥,٥ ×٣٩ سم.، زيورخ، مجموعة خاصة. من إصدار نيكوس خادزينيكولاو (مراجعة)، «الإسكندر الأكبر في الفن الأوروبي»، سالونيك ١٩٩٧، ص. ٢٩٧.

٧٤. من إصدار Ch. Texier،
«Description de l'Armenie, la Perse et la Mésopotamie»، باريس ١٨٤٢-١٨٥٢ (م. أ).

يرجع الفضل في تشييد مجموع القصور الفارسية من الناحية المعمارية المُتقنة وغير مسبوقة النظير إلى المهندسين والحرفيين اليونانيين من ناحية فكرة التصميم وكذلك التنفيذ. ومع تأسيس إمبراطورية الأخمينيين - وهم في الأصل شعب رحّال تطوّر من الناحية السياسية منذ عام ٥٥٠ ق. م. وعزّز سيادته في البداية حتى سواحل آسيا الصغرى – كانت هناك احتياجات جديدة تتعلق بمركز إدارة ومقر الإمبراطورية. وعند غزو مؤسس الإمبراطورية قورش الثاني لإيونية عام ٥٤٦ ق. م.، أُعجب بإنجازات المهندسين المعماريين اليونانيين وخاصة أولئك الذين أقاموا النصب التذكارية في معابد جزيرة ساموس ومدينة إفسوس ومعبد أرتميس، وعليه قرر تزيين عاصمته الجديدة في باسارغاد بمباني ذات قيمة

فنية مماثلة. كخطوة أولى قام بضمّ جميع الفنانين والحرفيين اليونانيين المقيمين في ميليتوس (من مهندسين معماريين، ورسامين، ونحاتين، وحرفيين متخصصين) تحت حمايته، مراعياً ما يمكنهم القيام به من أعمال مستقبلية. ونتيجة لمبادرته لم يتم إعادة بناء القصور في باسارغاد فحسب، بل عندما تولى الملك داريوس زمام الأمور استعان بهم كذلك في إقامة قصور بيرسوبوليس البهية. (انظر:

H. Stierlin, Persépolis. Chef-d'oeuvre des Grecs en Iran, Paris, Picard, ٢٠١٦

وخاصة الفصل الموثق الذي كتبه م. كورّيس حيث يتضمن التأثيرات الشرقية المباشرة وغير المباشرة في العمارة اليونانية).

## نحـــــــــو بيرســـــــــــــوبوليس

أراد الإسـكندر بعـد انتصـاره في جوجميـلا[١٩] أن يتحـرك بسرعـة للإمسـاك بداريـوس وبالتـالي في أوائـل عـام ٣٣٠ ق. م. قـام باخـتراق بيرسـيدا وعـبَر نهـر باسـيدجلة وغـزا ارض الأوكسـيين ثـمّ أرسـل بارمنيـون بعدهـا مبـاشرة إلى بيرسـوبوليس.[٢٠] بعـد أن قـام بالاسـتيلاء عـلى المعابـر الفارسـية ذات الحمايـة الفائقـة عـن طريـق التشـكيلات الدائريـة والتـي كان يدافـع عنهـا المرزبـان أريوبارزانيـس، عـبر نهـر اراس وعندمـا وصـل إلى بوابـات بيرسـوبوليس فوجـئ بصـورة مروعـة: حيـث خـرج مـا يقـرب مـن ٨٠٠ مسـنّ لملاقاتـه ممسـكين بأغصـان الزيتـون وراجـين أن ينقذهـم. لقـد كانـوا حرفيـين يونانيـين تـمّ أسرهـم وبـتر أطرافهـم، فلـم يبقـى لهـم منهـا سـوى مـا هـو ضروري لممارسـة حرفتهـم.

لقـد كانـت بيرسـوبوليس مدينـة مهيبـة ذات أسـوار منيعـة، وبوابـات برونزيـة وسـلالم مزدوجـة تقـود إلى أعـلى نقطـة في قمـة المدينـة. هنـاك تـمّ تشـكيل القاعـة المهيبـة للعـرش ذات المائـة عمـود التـي تحمـل تيجانـاً منحوتـة مزينـة بمجموعـة مـن الثـيران. قبـل قاعـة العـرش، كانـت هنـاك قاعـة أخـرى مهيبـة أكـبر في الحجـم مخصصـة لجلسـات الاسـتماع (أبادانـا)، زُينـت بنفـس القـدر مـن الـثراء.

أمـا بالنسـبة لنهـب وحـرق بيرسـوبوليس مـن قبـل الإسـكندر، فهنـاك وجهـات نظـر واصـدارات مختلفـة منهـا: أن الإسـكندر تـرك جنـوده لنهـب المدينـة، والاسـتيلاء عـلى الـثروات الخاصـة والقيـام بمذبحـة لم يُسـمع بهـا مـن قبـل، وقـد أعقـب ذلـك تدمـير المقدسـات ونهـب كنوزهـا رداً عـلى الفظائـع التـي تحقـق منهـا اليونانيـون عـلى الفـور وكعقـاب لتدمـير أثينـا عـلى يـد كسيركسـيس. عـلاوة عـلى ذلـك فقـد كان حـرق بيرسـوبوليس بشـكل واضـح جـزءاً مـن مخطـط الحـرب الانتقاميـة التـي عهـد بهـا جمهـور اليونانيـين إلى الإسـكندر. ومـع ذلـك فـإن الأسـطورة التـي تـم نسـجها بـأن حـرق مجمـع القصـور أدى إلى تدمـير كتابـات زرادشـت المقدسـة أيضـاً، بعـد أن تـمّ ترجمتهـا أولاً إلى اللغـة اليونانيـة، يعـدّ دعايـة أيدولوجيـة، كـما سـنرى فيـما بعـد.

## نحـــــــــو إكبـــــــــــاتان

بعـد أن حصـل الإسـكندر عـلى الكنـز الضخـم الـذي وجـده في الخزانـة والـذي كان يـزن آلافـاً مـن الطالنـط، تقـدم للاسـتيلاء عـلى عاصمـة الفـرس الأخـرى وهـي إكباتـان الواقعـة في ميديـا والتـي كانـت تمثـل مقـراً صيفيـاً للملـوك.[٢١] بالإضافـة إلى أن داريـوس ومـا تبقـى لـه مـن جيشـه وجـدوا ملجـأً لهـم هنـاك. وبينـما كان الإسـكندر يتحـرك بسرعـة للإمسـاك بداريـوس حيـاً، كان الأخـير قـد غـادر المدينـة برفقـة مـن الفرسـان والمشـاة.

٧٥. عرض في حضرة داريوس (الأول وليس داريوس الثالث معاصر الإسكندر) من «أمفورا داريوس»، ٣٤٠ – ٣٢٠ ق. م. المتحف الأثري بنابولي (التفاصيل).

تقـدم الإسـكندر مـن إكباتـان برفقـة تشـكيل عسـكريّ ذو خفـة ومرونـة مطـارداً داريـوس، لكـن في اليـوم الثـاني علـم بالفعـل أن داريـوس تـم الإمسـاك بـه مـن قبـل بعـض مرازبتـه الذيـن كان مـن بينهـم بيسـوس. وعـلى الرغـم مـن أن الإسـكندر تحـرك عـلى الفـور، راغبـاً

بـكل السـبل أن ينقـذ داريـوس الـذي كان مربوطـاً عـلى عربـة تحـت أسر بيسـوس، إلا أنّـه لم ينجـح في ايجـاده عـلى قيـد الحيـاة، وأثنـاء ذلـك تـم اعـلان بيسـوس ملـكاً عـلى الفـرس، بـل وإنّ المتمردين الآخريـن أيضـاً كانـوا قـد تركـوا داريـوس مـا بـين الحيـاة والمـوت. لقـد أرسـل الإسـكندر في طلبـه لكـن بعـد فـوات الأوان، حيـث ألقـى عـلى جسـده الميـت عباءتـه الأرجوانيـة وأمـر بإرسـال جسـمان داريـوس مزينـاً بشـكلٍ ملـكيّ إلى بيرسـوبوليس وبدفنـه وفقـاً للتقاليـد الملكيـة بجـوار غـيره مـن ملـوك الفـرس.

## نحـــــــــو تغيير سياسي في آســـيا

بعـد أن صـار الإسـكندر حاكـماً عـلى الامبراطوريـة الفارسـية وبسـبب القبـول الـذي اكتّـه لـه الفـرس ومعظـم المرازبـة بشـكل عـام، بـدأ في إدراك أنـه كان عليـه أن يغـير مـن سياسـته وذلـك بدمـج السـكان الأصليـين إلى جيشـه. [٢٢] وواصـل بالطبـع كونـه ملـك مقدونيـا وحاكـم الشـعب اليونـاني بـل وملـك آسـيا كذلـك. فقـد انتهـت الحملـة الانتقاميـة ضـد داريـوس والتـي كانـت رداً عـلى الخطـوب التـي ألحقهـا داريـوس نفسـه ومـن سـبقه مـن الملـوك بالمـدن الـدول اليونانيـة بآسـيا الصغـرى واليونـان. بعـد أن صـار خليفـة للأخمينيـين كان مـن الواجـب عليـه الآن أن يدمـج عقليـة الفـرس بطريقـة تفكـير المقدونيـين، مـما يجعـل المقدونيـين يقبلـون الفـرس عـلى قـدم المسـاواة.

ومـع ذلـك لم تنتـه الحـرب مـن أجـل السـيادة الكاملـة عـلى آسـيا حيـث كانـت هنـاك العديـد مـن الشـطربيات الشرقيـة، مـن هيركانيـا حتـى جبـال هندوكـوش، ونهـري سـيحون والسـند التـي كان يجـب غزوهـا. لكـن فيـما عـدا الاشـتباكات العسـكرية مـع أعـراق مجهولـة، كان عـلى الإسـكندر مواجهـة الجيومورفولوجيـا كذلـك، في شـكل بيئـة طبيعيـة غـير معروفـة بهـا غابـات لم تطئهـا قـدم، وطـرق للاتصـال غـير معروفـة. كان عـلى جنـوده أن يعـبروا صحـاري قافـرة ومسـاحات شاسـعة قاحلـة، وان يمـروا عـبر سلاسـل مـن الجبـال المغطـاة بالثلـوج، غالبـاً في جـوٍ مـن الـبرد القـارص أو الحـرارة التـي لا تطـاق، حيـث كان يعتمـد ذلـك عـلى طبيعـة كل منطقـة.

وهكـذا فقـد تـم إعـادة هيكلـة الجيـش وكان الهـدف الرئيـسي مـن ذلـك هـو المرونـة الأكـبر في الحركـة وإمكانيـة عمـل منـاورات منتظمـة.

## مـــــن هيركانيـــــا وحتى باختريا وبلاد الصغد

بعـد مـوت داريـوس وإحيـاء روح المقدونيـين المعنويـة، شرع الإسـكندر في غـزو مناطـق يصعـب الوصـول إليهـا في هيركانيـا، بينـما قـام بفـرض سـيطرته عـلى آريـا فيـما بعـد وبشـنّ حملـة عسـكرية عـلى باختريـا، راغبـاً في الإمسـاك ببيسـوس الـذي اسـتولى عـلى أركان السـلطة الملكيـة.[٢٣] خـلال العمليـات العسـكرية غـزا درانجيانـا ثـمّ أراخوسـيا حيـث كانـت وجهتـه جبـال هندوكـوش الشـاهقة. تمكـن الإسـكندر عنـد غـزوه لباختريـا مـن الإمسـاك ببيسـوس في مدينـة صغـيرة حصينـة بالقـرب مـن سـمرقند وقـام بجلـده حتـى المـوت.

أراد الإسـكندر – عـلى غـرار قـورش الثـاني وداريـوس سـابقاً – أن يقـوم بحمايـة أبعـد نقطـة لإمبراطوريتـه الشاسـعة وذلـك بإقامـة حصـون حدوديـة قويـة حتـى يتـم السـيطرة عـلى غـارات الشـعوب البدويـة القاطنـة في السـهول. لقـد ضمـن لـه تأسـيس مدينـة «الإسـكندرية القصـوى» عـلى نهـر سـيحون وكذلـك شـبكة المسـتوطنات العسـكرية الواسـعة الهيمنـة عـلى المنطقـة.

٧٦. «انتصار ديونيسوس على الهنود» على تابوت مصنوع من المرمر. من إصدار Victor Duruy، «Histoire des Grecs....»، م. ٣، باريس، Librairie Hachette، ١٨٨٧ – ١٨٨٩ (م. أ).

## الحمـــــــــلة على الهنـــــــــــــد

بعـد اضطرابـات داخليـة في المعسـكر أثارهـا "الفرسـان الرفـاق" تحـت ذرائـع مختلفـة أو البعـض مـن المنافقـين البغضـاء، والتـي أسـفرت عـن إدانـات واغتيـالات كالتـي ارتُكبـت في حـق فيلوتـاس وبارمنيـون، في نهايـة ربيـع عـام ٣٢٧ ق.م. بـدأت الاسـتعدادات لغـزو البلـد الـذي يقـع في نهايـة العـالم المعـروف آنـذاك وهـي الهنـد.[٢٤] بعـد أن تـدارس الإسـكندر التجهيـزات شـخصياً وتلقّـى المعلومـات اللازمـة - ذات البعـد السـياسي وكذلـك الخاصـة بطبيعـة الأرض – عـن المداخـل السـهلة وعـن الظـروف السـائدة في الممالـك أو القبائـل المسـتقلة، اتخـذ باختريـا قاعـدة لـه.

٧٧. حلقة معدنية من لجام حصان بها تمثيل لفيل حرب يقوده جنود مقدونيون ( متحف هيرميتاج الوطني).

بـدأت العمليـات بشـكل فعـليّ في خريـف عـام ٣٢٧ ق. م. وكانـت نيقيـة مركـزاً لتنفيذهـا وتاكسـيليس وغـيره مـن الـولاة أنصـاراً لـه، حيـث قامـوا بتقديـم الهدايـا لـه و ٢٥ فيـلاً لتقدمـه حتـى نهـر السـند. في طريقـه أحكـم سـيطرته عـلى شـعب الأسباسـيين وبـلاد الأسـانيين واسـتولى عـلى مدينـة أورنـوس الجيـدة التحصـين بعـد حصـار، ثـمّ اسـتعد لعبـور نهـر السـند في ربيـع عـام ٣٢٦ ق. م. أعـدّ لـه تاكسـيليس اسـتقبالاً مهيبـاً في مدينـة تاكسـيلا الغنيـة ذات الجمـوع الكثـيرة. في هـذا المركـز الكبـير للبراهمانيـة، اتصـل اليونانيـون بالحضـارة الهنديـة وتمكـن العلـماء الذيـن كانـوا يتبعـون الإسـكندر مـن دراسـة الحيـاة النباتيـة للمنطقـة بشـكل منهجـيّ. وتـرك «الحكـماء البراهمانيـون» انطباعـاً خاصـاً لـدى الإسـكندر الـذي أرسـل اونيسـيكريتوس للتحـدث معهـم.

## الإسكندر يصل إلى نهـــــــــر جيلـــــــــوم

بعـد أن قـام بالقضـاء عـلى بعـض الفـرق العسـكرية بقيـادة سـبيتاكيس (أو بيتاكـوس)، وصـل إلى ضفـة نهـر جيلـوم حيـث كان عليـه مواجهـة الملـك بـوروس الـذي كان قـد احتـل الضفـة

المقابلة بجيشة كاملاً.[٢٥] وهنا لأول مرة كان على الإسكندر مواجهة سلاح حربيّ جديد وهو الأفيال التي قدمها ديودوروس على أنها كالأبراج. وهكذا قرر أن يخدع بوروس الذي ظلّ حارساً يقظاً على الضفة المقابلة، فأثناء الليل كان الإسكندر يقوم بنقل الكتائب إلى النقاط الأكثر قابلية للمرور من النهر لكي يحظى بهجوم من شأنه الإيقاع ببوروس وهو غير مستعد تماماً. وفي الساعات المبكرة لإحدى أيام ربيع يوليو من عام ٣٢٦ ق.م. عبر الإسكندر نهر جيلوم على جسر تمّ نصبه بشكل سريع بواسطة العديد من القوارب والجلود (وهي أكياس جلدية كانت تُستخدم لعبور الأنهار). وعندما قام الإسكندر بعد ذلك بالتحركات المناسبة حتى يتمكن من مواجهة الأفيال، تمكن من إحداث ارتباك في المعسكر المعارض. ومع ذلك فقد تحولت المعركة إلى اشتباك شرس لم يسبق له مثيل. فقد الإسكندر أثناء هذه العمليات حصانه المحبوب ورفيق دربه بوسيفالوس وتكريماً له أسس مدينة بوسيفالوس تخليداً لذكراه. ووفقاً لقاموس ايسيخيوس بالطبع فإن بوسيفالوس هو المسمى العام لسلالة من الخيول الثيسالية المشهورة بقوتها وقدرتها على التحمل والتي كانت تحمل على أردافها علامة على هيئة رأس ثور تم صكها عليها عن طريق الكيّ بالحديد المنصهر.

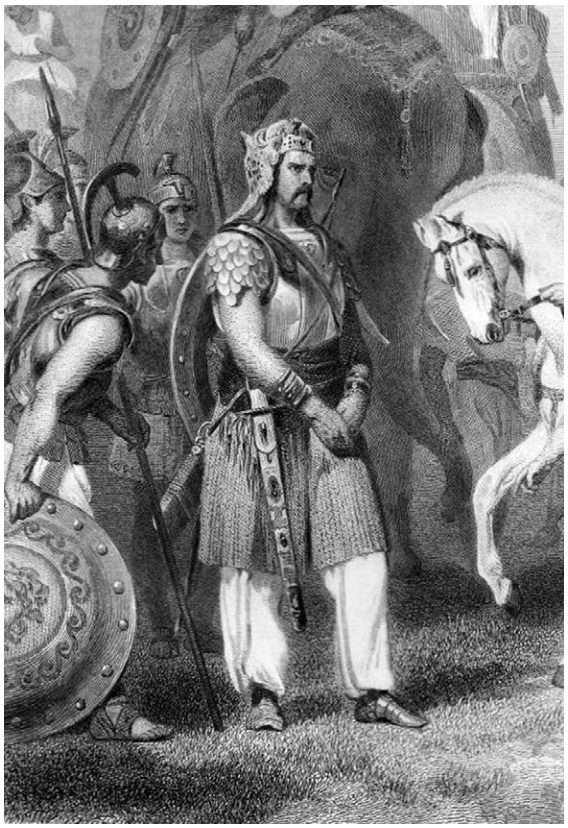

٧٨. تفاصيل من نقش نحاسي لـ Alonzo Chappel، «تسليم بوروس إلى الإسكندر»، ١٨٦٥.

في النهاية كان النصر حليف الإسكندر: فقد وافق بوروس المصاب بجروح على الاستسلام للقائد اليوناني الذي أُعجب بشجاعته ورجولته، حيث سمح له بالاستمرار في حكم أراضيه، وأثبت مرة أخرى مدى الاحترام الذي كان يكنّه للشجعان من منافسيه وكذلك مدى كرمه تجاه الخاسرين.[٢٦]

٧٩. معركة الإسكندر مع الملك بوروس عند نهر جيلوم: «Vraye valeur est toujour invincible» («الجدارة الحقيقية لا تُقهر أبداً»). نقش بواسطة ورشة عمل Bernard Picart استناداً إلى لوحة مفقودة لـ Charles Le Brun، ١٧٠٠ – ١٧١٠.

## بعـــــــد نهر جيلـــــــــــوم

بعـد أن تـرك جيشـه للراحـة عنـد نهـر جيلـوم لمـا يقـرب مـن شـهر، واصـل الإسـكندر تقدمـه نحـو نهـر هيدراوتيـس "Υδραιώτη" وقـام بعبـوره ثـمّ حـاصر مدينـة سـاجلا "Σάγγαλα" التـي كان يدافـع عنهـا الكاثيـون "Καθαῖοι" بشـكل أسـاسيّ وبعـد حصـار شـديد تمكـن مـن الاسـتيلاء عليهـا.

٨٠. Léon Davent، استناداً إلى عمل Francesco Primaticcio، «الإسكندر يروض بوسيفالوس». طباعة معكوسة للنقش، ٢٢,٥×٣٢ سم.، روما، Istituto Nazionale per la Grafica.

## نحـــــــــــو نهر هايفاسيس

كان الإسـكندر ينـوي التقـدم بعيـداً عـن نهـر هايفاسـيس، إلى صحـراء شاسـعة تقـود إلى نهـر الغانـج في المنطقـة التـي كان يقطنهـا شـعوب التافريسـيين والجانجاريديـين الذيـن كان لديهـم قـوات عسـكرية ذات أهميـة.[٢٧] انزعـج جنـوده وبـدأت تتشـكل مجموعـات ترفـض اتباعـه. ولـكي يمنـع الإسـكندر توسـع الميـول التمرديـة، ألقـى خطابـاً يشـيد فيـه بالنمـوذج المقـدوني المحـارب محـاولاً سرد انجازاتهـم.

بعـد عجـز الإسـكندر عـن اقنـاع جيشـه بإتباعـه بعيـداً عـن نهـر هايفاسـيس، عـزل نفسـه في خيمتـه موضحـاً أنـه وافـق عـلى العـودة إلى الغـرب. وهكـذا في خريـف عـام ٣٢٦ ق. م. بـدأت الاسـتعدادات لرجوعهـم إلى بابـل وعـودة العديـد مـن المقدونيـين إلى وطنهـم، وذلـك بعـد تقديـم القرابـين للآلهـة الأولمبيـة الاثنـي عـشر.

أثنـاء مرحلـة التجهيـز للعـودة قـام بتحديـد مسـار إحـدى الفـرق العسـكرية تحـت قيـادة كراتـيروس، بينـما صعـد هـو نفسـه عـلى مـتن سـفينة بقيـادة اونيسـيكريتوس، وعـيّن نيارخـوس كأدمـيرال للأسـطول.

## عمليات الإسكندر أثناء طريق العودة

وصل الإسكندر عن طريق البحر إلى نقطة الالتقاء التي تم الاتفاق عليها مع كراتيروس وهيفايستيون وحاول القيام بعمليات حربية من أجل السيطرة على مناطق مختلفة استمرت في خلق المشاكل كمنطقة الماليين.[٢٨] بعد معارك استمرت لشهور وعمليات خطرة قام بها الإسكندر والذي كاد ان يخسر حياته فيها، استسلم الماليون وكذلك الأوكسيدراكيون الذين تعاونوا معهم. انطلاقاً من باتالا كقاعدة له، أراد الإسكندر استكشاف ذراعي نهر السند اللذين كان ينتهي بهما المطاف في البحر وبعد رحلة استمرت عدة أشهر ومعلومات أمده بها السكان الأصليون تأكد من أن نهر السند كان يقود إلى المحيط، وعندها اعتبر أنه قد حقق بهذا الشكل غرض الحملة في الهند حيث كان قد مر الكثير من الوقت للعودة إلى بلاد فارس.

## خطاب الإسكندر في أوبيس

بعد هذه المسيرة من الفتوحات ذات الانتصارات كانت قد نضجت الخطط السياسية والاجتماعية التي أراد الإسكندر تطبيقها خاصة فيما يتعلق بالعلاقات بين الإغريق والفرس. في نهاية ربيع عام ٣٢٤ ق. م. تم الاحتفال في سوسة باستكمال الحملة وذلك بعد الانتهاء من غزو الهند وبهذه المناسبة أقيمت حفلات زفاف جماعية لمقدونيين من فارسيات. على الرغم من أن الإسكندر كان متزوجاً من روكسانا، إلا أنه اتباعاً للعادات الشرقية اتخذ ستاتيرا (أو فارسيني) ابنة داريوس كزوجة ثانية، بينما أعطى لهيفايستيون الابنة الثانية لملك الملوك - فيما مضى - وهي ذريبيتي.

فيما بعد أعلن الإسكندر لقدامى المحاربين والجرحى ولكل من لم يتمكنوا بعد من متابعة جيشه أنهم سيعودون إلى منازلهم. إضافة إلى ذلك كان ينوي أن يكافئهم بسخاء حتى يتمكنوا عند وصولهم إلى أرض الوطن، من إغراء اخوتهم في المواطنة على المشاركة في مسيرة الفتوحات. وقام بتعيين صديقه الشجاع والمخلص كراتيروس زعيماً لقدامى المحاربين.

اتضحت سياسة التوحيد التي كان يراها الإسكندر في الخطاب الشهير الذي ألقاه في أوبيس بعد مصالحته مع المقدونيين الذين تمردوا. تكريماً للحدث، نظم الإسكندر ندوة

ضخمة هناك، والتي حضرها مقدونيون وفرس وممثلو شعوب مختلفة.[٢٩] كانت فكرته الأساسية كالتالي: أن يتم تهيئة الظروف من أجل الوحدة والسلام والعلاقات الجيدة المتبادلة بين جميع الناس، الأمر الذي كان يعكس الصورة الواقعية. عهد بحكم بعض الشطربيات إلى فارسيين، فجيشه الآن أصبح مختلطاً، ومختلطين أصبحوا أيضاً السكان في المدن المنشأة حديثاً والزيجات بشكل عام صارت مختلطة هي الأخرى حتى في سوسة أيضاً قد شغل الفرس مناصب عالية في السلك السياسي.

منطقياً لابد وأنه تم تسجيل هذا الخطاب إما في السيرة الذاتية التي كتبها

٨١. نقش بواسطة Jacopo Caraglio، من عمل P.P. Rubens، «زواج الإسكندر وروكسانا». من إصدار نيكوس خاتزينيكولاو (مراجعة)، «الإسكندر الأكبر في الفن الأوروبي»، سالونيك ١٩٩٧، ص. ٥٩٩.

بطليموس الأول المنقذ عن الإسكندر أو في كتابات المؤرخ اريستوبولوس - من كاسندريا - الذي تبع حملة القائد المقدوني وكتب مؤلفاً لم نصل إلى عنوانه. تم انقاذ مقتطف من عمل إراتوستينيس (خرونوغرافياي؟) بواسطة سترابون ولا يُستبعد اشتقاقه من السيرة الذاتية للإسكندر التي كتبها بطليموس. لابد وأن بلوتارخوس أيضاً استخلص مادته المتعلقة بنصه (عن حظ وفضيلة الإسكندر) من نفس المصدر.

## عـــــودة إلى بـــــابل

في عـام ٣٢٤ ق. م. يسـير الإسـكندر إلى بابـل التـي قـرر مسـبقاً كونهـا مقـراً لإمبراطورتيـه.[٣٠] أثنـاء الطريـق التقـى بـــ «متنبئـين» كلديـين حيـث حـذروه مـن وقـوع شر عظيـم إذا دخـل المدينـة. فقـام في البدايـة بالتخييـم خـارج الأسـوار، حيـث زاره العديـد مـن السـفراء مـن الـشرق والغـرب (كلتيـين وإيبيريـين) سـاعين لصداقتـه. بعـد ذلـك دخـل بابـل مـن البوابـة الشرقيـة في جـو مـليء بالحفـاوة. خـلال مكوثـه هنـاك لم يظـل مكتـوف الأيـدي، بـل كان في عمليـة اسـتعداد

٨٢. لوحة مرسومة بواسطة Francesco Primaticcio، «مأدبة الإسكندر»، ٣٧,٤×٢٥,٧ سم، باريس، متحف اللوفر. من إصدار نيكوس خاتزينيكولاو (مراجعة)، «الإسكندر الأكبر في الفن الأوروبي»، سالونيك ١٩٩٧، ص. ٦٢٥.

لغـزوات جديـدة – مقصدهـا الطـواف حـول شـبه الجزيـرة العربيـة ثـم اكتشـاف الطريـق المـؤدي إلى مدينـة الأبطـال في أعـماق البحـر الأحمـر حاليـاً. لهـذا الهـدف كان سيسـتخدم أسـطول نيارخـوس وكذلـك السـفن الجديـدة التـي بناهـا الفينيقيـون لحسـابه. في الوقـت نفسـه أعـاد ترتيـب جيشـه مـن خـلال دمـج الرمـاة الفارسـيين ورمـاة الرمـاح في تكويـن التشـكيلة السـلامية.

٨٣. نقش على النحاس بواسطة Girard Audran، «دخول الإسكندر إلى بابل»، ١٦٧٥، ٧٢×٩٣ سم. من إصدار نيكوس خاتزينيكولاو (مراجعة)، «الإسكندر الأكبر في الفن الأوروبي»، سالونيك ١٩٩٧، ص. ٥١٩.

تـم الانتهـاء مـن خطـة إعـادة التشـكيل العسـكري، وكذلـك تنظيـم مسـيرة الفتـح الجديـد. بقـي تحديـد يـوم المغـادرة. لاحقـاً وبعـد أن قـام بتقديـم التضحيـات الأوليـة اللازمـة، حـضر مأدبـة ليليـة مـع رفاقـه، حيـث تـلا مقتطفـات مـن أندروميـدا ليوريبيديـس. اسـتمر الحفـل وفي اليـوم التـالي، ٢ يونيـو مـن عـام ٣٢٣ ق. م. في المسـاء أيضـاً تـم إقامـة مأدبـة مـرة أخـرى تكريمـاً لـه والتـي اسـتمرت حتـى وقـت متأخـر مـن الليـل. أصيـب الإسـكندر بالحمـى أثنـاء الليـل ومنـذ ذلـك الحـين لم تتوقـف حالتـه عـن التدهـور مـع وجـود لحظـات نـادرة ومؤقتـه مـن الإعفـاء. لقـد أمـضى الأيـام الأخـيرة مـن حياتـه يتحـدث إلى قادتـه، ورفاقـه، وإلى أدمـيرال أسـطوله نيارخـوس ومحـط حديثـه كان يـدور فقـط عـن خطـط الحملـة المسـتقبلية ووقـت المغـادرة في سـبيل الأهـداف الجديـدة. لكـن في منتصـف الليـل أمـر أن يعـبروا بـه عـلى مـتن قـارب إلى الضفـة المقابلـة لنهـر الفـرات، إلى الجنـة. في الثامـن والعشريـن مـن شـهر ديسـيوس (١٣ يونيـو) مـن عـام ٣٢٣ ق. م. فـارق الحيـاة.

٨٤. لوحة مرسومة بواسطة Giovanni Baglione «الإسكندر وطبيبه فيليب». دوسلدورف، Kunstmuseum، من إصدار نيكوس خاتزينيكولاو (مراجعة)، «الإسكندر الأكبر في الفن الأوروبي»، سالونيك ١٩٩٧، ص. ٣٩٣.

لقـد عـلا النحيـب في المخيـم. نعـاه يونانيـون وفـرس وآخـرون كانـوا قـد انضمـوا إلى جيشـه ووالـدة داريـوس نفسـها التـي رثتـه كإبـن لهـا. وفقـاً للشـهادات، فقـد تـم وضـع جسـده في تابـوت مـليء بالعسـل وظـل في بابـل لمـدة عامـين، حتـى عـام ٣٢١ ق. م. بعـد ذلـك تـم وضـع جثمانـه في منـف أولاً ثـم نُقـل إلى الإسـكندرية لاحقـاً كـما توضـح الشـهادات.

كانـت خطـة الرفـاق الأساسـية هـي أن يتـم نقـل رفاتـه إلى مقدونيـا لدفنـه، ولكـن عندمـا بـدأ الموكـب في المسـير إلى هنـاك، تدخـل بطليمـوس الأول وقـاد العربـة المهيبـة التـي حملـت النعـش إلى مـصر.

# خريطة توضح مسيرة فتوحات الإسكندر الأكبر

مسيرة الإسكندر الأكبر

الأراضي التي أصبحت تحت سيطرة الإسكندر الأكبر

موقع المعارك

٨٥. الحدود التي كانت تحت سيادة الإسكندر الأكبر ومسيرته من الغرب إلى الشرق. تم إعداد هذه الخريطة في مكتب ق. س. ستايكوس الهندسي.

# خـــــاتمة

يهدف العرض المقتضب عن مسيرة الإسكندر الأكبر ذات الفتوحات إلى الإشارة والتأكيد ليس فقط على ذكائه العسكري، ولكن بشكل أساسي على سلوكه واحترامه حتى ضد ألد أعدائه، وخاصةً نحو من تعاملوا معه وفقاً لقواعد تنم عنها أخلاق الحرب التي كانت مستمرة منذ عصور البطولة. لقد احترم الإسكندر الملك داريوس وعامل عائلته بحب تشوبه صفة القرابة، بينما عاقب القائد بيسوس الذي قام بخيانته، واعترف بكل المرازبة وأتباع الملك العظيم كرعايا مخلصين له، مبقياً بالطبع على الكثيرين منهم في مناصبهم السابقة. ولم يعاقب بوروس ملك بلاد الصغد الذي حاربه بضراوة عند مضيق نهر جيلوم، بل حرص على الاستمرار في حكم أراضيه وجعله صديقاً له.

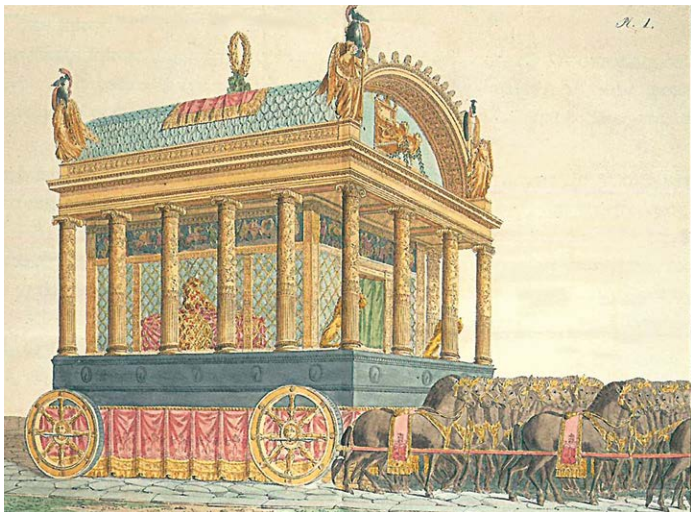

٨٦. نقل جثمان الإسكندر في تابوت، تجره عربة من بابل إلى الإسكندرية. من إصدار: Antoine Chrysostome Quatremère de Quincy، «Restitution du Bûcher d'Héphestion décrit par Diodore de Sicile»، باريس ١٨٢٨ (م. أ).

بشكل عام، أفسحت العمليات الانتقامية التي قامت بها جموع اليونانيين ضد الفرس على مر السنين الطريق أمام رؤية عالم الشرق كأرض «مشتركة» - بمعنى تفاعل اليونانيين مع شعوب الشرق والذي كان يتطلب الاحترام المطلق لعادات وتقاليد كل أمة بل وأيضاً لجميع أنواع الخصائص التي تبدأ بالبيئة الطبيعية وتنتهي بلهجات كل عرق.

ومن الناحية الدينية الآن، فقد حافظ الإسكندر على عبادة الآلهة اليونانية الإثني عشر، فقدم القرابين لزيوس وأثينا بل وأيضاً لآلهة مثل هرقل وديونيسوس، لكنه كرم بمظاهر مماثلة ذكرى المنافسين التقليديين لليونانيين، مثل الملك العظيم قورش على سبيل المثال. ومع ذلك لم يكتف بالاعتراف بالتقاليد الدينية المحلية فحسب، بل شرع أيضاً في خلق مزيج بين آمون وزيوس على سبيل المثال أو بين إيزيس وأفروديت، بينما كان

هـو نفسـه فخـوراً بارتـداء مـا يـدل عـلى أنـه ابـن آمـون. وأعـاد ترميـم الآثـار المقدسـة التـي هُدمـت أثنـاء العمليـات القتاليـة، مثـل معبـد مـردوخ في بابـل والأسـوار المقدسـة للمدينـة.

بعـد فـترة، حجّـم الإسـكندر هجومـه العسـكري، عنـد اتصالـه المبـاشر مـع ممثـلي الأمـم والأعـراق، وحـاول بعنـاء جعلهـم يدركـون الحاجـة إلى التوافـق في العيـش باحـترام فيـما يتعلـق بالطبائـع المميـزة لـكلا الجانبـين مـن أجـل تحقيـق تعايـش فيـه تناغـم بشـكل كامـل.

تكـثر هنـا الكلـمات العظيمـة والصفـات التجميليـة لشـخص مثـل الإسـكندر، وتبقـى نيتـه وإنجازاتـه فريـدة عـلى مـدار التاريـخ الإنسـاني، أو مـن الأفضـل أن نقـول ليـس لهـا مثيـل حتـى الآن!

## تمهيد الفصل الرابع

في هـذا الفصـل سـيتم التحـدث عـن النظـام البيروقراطـي للإمبراطوريـة الفارسـية الـذي تـمّ تنظيمـه، مـع كـون العاصمـة بيرسـوبوليس مركـزاً لـه وذلـك بهـدف التواصـل اليومـي مع شـطربيات الإمبراطوريـة مترامـية الأطـراف. وسـيتم التطـرق إلى كيفيـة تأثـير هـذا النظـام عـلى الصحـف التـي كانـت بمثابـة الإعـلام اليومـي الموّجـه إلى رؤسـاء المناطـق الواقعـة تحت سـيطرة الإسـكندر ولتسـهيل سـير العمليـات العسـكرية الجاريـة آنـذاك.

لكـن في البدايـة سـتجرى محاولـة لتوضيـح كل مـا اتهـم بـه أتبـاع زرادشـت الأسـكندر مـن قيامـه بحـرق النصـوص المقدسـة التـي كانـت مسـجلة في الأفيسـتا عـن عمـد، وسـيتم إثبـات مـدى بطـلان هـذه الدعايـة الأيدولوجيـة.